الموت لدى الصوفية أو الحياة الحقيقية في الحضور مع الله تعالى

د. زهير بن كتفي

كلية العلوم الإسلامية–جامعة الوادي

Benketfi-zouhir@univ-eloued.dz

مقدمة:

تحفل المكتبة الإسلامية اليوم بالكثير من المكتوبات التي تتناول مسألة الموت من زوايا متعددة تتعلق بفهم معناه وكيفية التعامل معه؛ منها ما يتطرق إلى فقه الجنائز وآدابها ودفن الموتى، في إطار الدراسات الفقهية التي تعتني بالجانب الظاهري الرسمي للمسألة. ومنها ما تعلق بالحديث عن الزهد في الدنيا والتوجه إلى الآخرة في إطار التصنيف في الرقائق والترغيب والترهيب وغيرها، ضمن الدراسات التي تُعنى بالجانب الباطني الروحي الأخلاقي. أضف إلى ذلك تأملات الفلاسفة وحديث الشعراء والأدباء الذين عبّروا عن الموت بصورة فلسفية أو أدبية فنية جمالية درامية كان للتجربة الذاتية فيها الأثر الكبير.

وتعدّ مسألة الموت من المسائل ذات الأهمية الكبيرة في الرؤية الروحانية الصوفية، وهذا لما له من حضور محوري في الحياة العرفانية للصوفي الكاشفة بالأساس عن جوهر الوجود الإنساني والكوني. فلمّا كان الإنسان مكوّن من جانبين: جانب حسي، مادي ظاهري، وآخر روحاني باطني، فقد حرص الصوفية دائماً على تناول مسألة الموت من حيث الظاهر والباطن؛ فنظروا إلى الموت على أنّه واقعة أو حدث في حياة الإنسان ذي وجهتين: وجهة تتمثل في موت متعارف عليه معهود وهو الموت الحسّي. ووجهة تتجلى في موت يكون بفناء الإنسان عن حياته الحسّية، وكلا الوجهتين برزخ ونقلة إلى عالم الأرواح والمعاني بمستويات متعددة.

كما أنّ الموت عند الصوفية لا يعبّر عن نهاية مخيفة، بل هو بداية جديدة وبوابة لحياة أسمى، وهو هدف يسعون إليه وليس مبعث خوف أو قلق. هذا الاعتقاد يترك أثراً بالغًا في حياة الصوفي، فيجعله يعيش حياة تقوى وزهد وخدمة للآخرين. ولا تقتصر أهمية الموت في الفكر الصوفي على الجانب الديني، بل لها أبعاد نفسية واجتماعية عميقة.

وتروم هذه المداخلة في تناولها للموت إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف فهم الصوفية الموت، وإلى أي مدى تتجلى العلاقة بينه وبين تحقيقه الحضور مع الله تعالى في حياة الإنسان؟ فالبحث عن مفهوم الموت في الروحانية الصوفية، ومدى اتساق معناه ومفهومه مع نسق الأطاريح الصوفية في ماهيتها وأصولها؟ بالإضافة إلى تجليات الحياة من خلال الموت وتجسدها في الحضور مع الله تعالى؟ هي جملة من التساؤلات سنحاول الإجابة عنها في هذه الورقة.

ولمعالجة هذه الأسئلة البحثية قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وأربعة عناصر مركزية وخاتمة، كالآتي:

مقدمة

أولا: الموت لدى الصوفية

ثانيا: ألوان الموت لدى الصوفية

ثالثاً: ممارسات الصوفية لتحقيق الموت

رابعاً: أثر الموت الصوفي في حياة الإنسان

خاتمة

أولاً: الموت لدى الصوفية

1-تعريف الموت في اللغة والاصطلاح:

أ-تعريف الموت في اللغة:

يدور مفهوم الموت في اللغة على جملة من المعاني منها:

-الموت ضد الحياة، والميت الذي مات، والمائت الذي لم يمت بعد. والميتة هي حال من أحوال الموت، يقال: فلان مات ميتة حسنة، وفلان مات ميتة جاهلية[1]. ويطلق الموت أيضاً على السكون، قال ابن منظور: وقيل الموت في كلام العرب يُطلق على السكون، يقال: ماتت الريح، أي ركدت وسكنت[2].

-ومن معاني الموت ذهاب القوة من الشيء، ويدلل ابن فارس على أنّ أصل الموت هو ذهاب القوة لما روي من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنّ مسجدنا فإن كنتم لا بد آكليها فأميتوها طبخاً[3]"[4].

-ويطلق الموت أيضا على النوم والبلى، قال الفيروزآبادي: ماتَ يَمُوتُ ويَماتُ ويَمِيتُ، فهو مَيْتٌ ومَيِّتٌ: ضِدُّ حَيّ. وماتَ: سَكَنَ، ونامَ، وبَلِيَ[5].

وبصفة عامة فإنّ مدار كلمة الموت في اللغة على هذه المعاني، وإن كان المعنى المشترك المستعمل في كلمة الموت في أكثر الموارد يراد به المعنى الأول[6].

ب-تعريف الموت اصطلاحا:

وأمّا من الناحية الاصطلاحية فإنّ المشهور في تعريف الموت هو: مفارقة الروح للبدن.

قال أبو حامد الغزالي(ت:505هـ): "ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرّفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها"[7].

ويؤكّد القرآن الكريم والسنة النبوية على أنّ مفهوم الموت هو خروج الروح من الجسد بواسطة ملك الموت، قال الله تعالى:﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[السجدة:11]. ويساعده في معالجة إخراج الروح من الجسد جمع من الملائكة، ويختلف أمر نزع الروح وإخراجها من البدن بين صورتين: حيث يقوم ملك الموت بنزعها نزعًا من الظالمين قال تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾[الأنعام:93]. وأمّا الطيبون فتتولاهم ملائكة الرحمة وتبشرهم برضوان من الله ومغفرة وسلام منه ورحمة. قال الله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:32]. وقال عزّ وجلّ:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[الفجر : 27-30].

وكما يمكن ملاحظة أنّ إسناد أمر إخراج الروح من الجسد يأتي في بعض الآيات القرآنية مباشرة لله تعالى، حيث الفاعل على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى، قال جلّ وعلا:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الزمر:42]. ونلاحظ أنّ الحقّ تعالى في هذه الآية الكريمة وصف النوم بأنّه موت، فيتوضّح أنّ بين الموت والنوم شبه واتصال، وفي هذا السياق يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي: "والنوم موت أصغر، فهو عين الموت: من حيث أنّ الحضرة التي ينتقل إليها النائم، هي بعينها التي ينتقل إليها الميت سواء. واليقظة بعد النوم كالبعث بعد الموت"[8].

وقد توسعت السنة النبوية وفصّلت في أمر الموت فتحدثت عن سكراته وعن الغرغرة ووصفت لنا صورة الملائكة الموكلة بقبض أرواح العباد، وكيفية استخراج هذه الأرواح تبعا لنوعية أعمال أصحابها..إلخ. وأكّد النبي صلى الله عليه وسلم على أنّ الميّت بعد موته يسمع ويرى، ولا أدلّ على ذلك من أنّه صلى الله عليه وسلم خاطب صرعى بدر من المشركين، فلمّا سئل عن ذلك قال: "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، لكنّهم لا يقدرون أن يجيبوا"[9]. كما ورد أيضا قوله صلى الله عليه وسلم:" إنّ الميت إذا وضع في قبره، إنّه ليسمع خفق نعالهم إذا انصرفوا"[10][11].

وقد ردّ القرآن الكريم على أولئك الذين قالوا بأنّ الموت عدم محض وأنّه بالموت ينتهى كل شيء، حيث أكد القرآن على حقيقة أنّ الله تعالى يحييهم مرة ثانية ويبعثهم ويحشرهم. قال عزّ وجلّ:﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[الواقعة:47-50]. فثبت بذلك بطلان معتقدهم في شأن زعمهم أنَّ الموت هو العدم، فتقرر من خلال النصوص التأسيسية في الإسلام، أي القرآن الكريم والسنة النبوية بأنَّ الموت لا يكون إلا تغييرًا وتحويلًا للإنسان من حال إلى حال، وانتقال مِن دار إلى دار، كما قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى(671هـ): "الموت ليس بعدَم مَحض ولا فناء صرف؛ وإنَّما انقطاع تعلُّق الروح بالبدن، ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدُّل حال، وانتقال من دار إلى دار"[12]. فالموت في نظر الإسلام هو السبب الناقل للإنسان من دار التكليف إلى دار الجزاء، فما الموت إلاّ محطة فاصلة بين داري الدنيا والآخرة، بمعنى أنّ الوجود الإنساني لا يعدم بمجرد الموت، بل يستأنف حياة جديدة لا يطالها الموت أبداً[13].

وتتوضح الصورة أكثر حول مصير الموت في الحديث النبوي الذي أخرجه مسلم في صحيحه، ويقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "يجاء بالموت يوم القيامة كأنّه كبش أملح، فيوقف بين الجنّة والنّار، فيقال يا أهل الجنّة هل تعرفون هذا، فيشرئبون، وينظرون، ويقولون نعم، هذا الموت، قال ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا، قال فيشرئبون، وينظرون، ويقولون نعم، هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنّة خلود فلا موت، ويا أهل النّار خلود فلا موت"[14].

وبناء عليه نخلص إلى أنّ المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الموت يلتقيان في شرح دلالات الموت وهي سكون الجسد وتوقفه عن الحركة، فهل هذا المفهوم هو الذي تتبناه الصوفية وترتاضاه لنفسها؟

2-مفهوم الموت عند الصوفية:

يمكن القول ابتداء إنّ لمفهوم الموت حضور عميق في الحقل المفاهيمي المعرفي الصوفي الزاخر بالعديد من المصطلحات الخاصة التي تنتمي إلى معجم يتسع لدلالات ومعان وأسرار باطنية وعرفانية وروحية هائلة، فهم كما قال قائلهم: "نحن قومٌ لنا في المعاني أسرار"[15].

أ-الموت كتحول:

وعقيدة الصوفية في الموت هي عقيدة المسلمين جميعا، فالموت عندهم، في مفهومه العام، لا بدّ منه بأيّ وجه كان، فهو "صفة وجودية خلقت ضد الحياة"[16]، وهو تفريق لأجزاء الإنسان وردّ كلّ جزء إلى أصله. يقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي(560-638هـ): "جاء الموت بما فيه فأخلى البلد وفرّق بين الروح والجسد، وردّ كل شيء إلى أصله (...) فألحق الجسم مع أترابه بترابه، وعرّج بالروح"[17]. والموت عندهم كما وضّحه الشيخ ابن العربي: "عبارة عن الانتقال من منزل الدنيا إلى منزل الآخرة، ما هو عبارة عن إزالة الحياة (...) فالموت انتقال خاص على وجه مخصوص"[18]. يقول: "ولست أعني بالموت إلاّ الانتقال عن هذه الدار، فإنّ الشهيد منتقل وإن لم يتصف بالموت"[19].

ويشكّل الموت عند الصوفية تحولاً جذرياً من الحياة الدنيا إلى الآخرة، ومما لا شك فيه أنّ التراث الصوفي يستمد تصوره عن الموت من القرآن الكريم والسنة النبوية كمصادر تأسيسية، وقد أسلفنا الحديث عن الموت في هذه المصادر. فالموت حقيقة راسخة لا فكاك منها يقول تعالى:﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[الجمعة:8]. ثمّ إنّ تذكُّره واستحضاره على الدوام في الحياة اليومية للمسلم عموما فضلا عن حياة الصوفي، كفيل بإزالة الشواغل الدنيوية من الفكر والعقل والنفس والاتجاه إلى الله تعالى وتحسين الصّلة به، وفي هذا السياق يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذكر هادم اللذات"[20]. فالإيمان بالموت والبعث والحساب يعدّ من أسس العقيدة الإسلامية التي لا تبديل ولا تغيير فيها، ومن هنا كان لرسوخ هذه العقيدة انعكاساتها على فهوم الصوفية في رؤيتهم لحقيقة أنّ نعيم الدنيا زائل وأنّ البقاء الحقيقي في الدار الآخرة. وأنّ الوقوف على حقيقة الموت يُعدّل فعلا الواقع السلوكي للإنسان ومسار الإنسان العاصي إلى الزيادة في أفعال الجنّة، والابتعاد عن كل ما يقرّب من النّار

في الآخرة. فذكر الموت يطردُ فضول الأمل، ويكفّ غرب المنى، فتهون المصائب، ويحول بين الإنسان وبين الطغيان، ومِن ذِكْرِ الموتِ تتولدُ القناعة بما رُزق، والمبادرة إلى التوبة، وترك المحاسد، والحرص على الدنيا، والنشاط في العبادة.

ب–الموت كفناء للأنا:

ويبدو مما سبق عرضه حول الموت كتحول من الدنيا إلى الآخرة لدى الصوفية هو تلك الأبعاد والقيم السالكة في رحاب التربية الروحية في حياة الإنسان الصوفي في فهمه للموت انطلاقا من الأساس الاعتقادي المبني على التوحيد، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، والتوحيد كما يعرّفه التهانوي: "لغة، جعل الشيء واحداً، وفي عبارة العلماء اعتقاد وحدانيته تعالى، وعند الصوفية معرفة وحدانيته الثابتة له في الأزل والأبد، وذلك بألا يحضر في شهوده (أي شهود الصوفي العارف) غير الواحد جلّ جلاله"[21]. فالتوحيد، كما يرى التهانوي، في عرف العلماء هنا، أي النظّار والمتكلمين، هو تصديق وعلم، بالاستناد إلى الأدلة النقلية والعقلية. أمّا في عرف المتصوفة فهو شهود. والمراد بالتوحيد الشهودي عند الصوفية، على ما يذهب إلى ذلك الإمام الطوسي(ت:378هـ)، هو تحقق العبد بالصفات الإلهية ومحو آثار البشرية[22]. ومعنى محو "آثار البشرية" هو تبديل أخلاق النفس وإفنائها؛ لأنّها تدّعي الربوبية بنظرها إلى أفعالها، كأن يقول العبد أنا وأنا، فمحو آثار البشرية هنا، ألا يقول العبد إلاّ: الله الله، فالإنية لله عزّ وجلّ[23].

فمعنى الموت في التصور الصوفي، الذي هو انعكاس للأساس الاعتقادي المبني على التوحيد، هو تحقق العبد بالصفات والأسماء الإلهية والفناء عن الصفات البشرية. ومن هنا يرتبط الموت عند الصوفية بمفهوم الفناء ارتباطا وثيقا إلى حد التماهي، حيث يؤديان في صورة ما إلى نفس الدلالة وهي: "أن تفنى الخصال المذمومة عن الرجل (...) فبعضهم فني عن شهوته، يعني ما يشتهيه من الدنيا، فإذا فنيت شهوته، بقيت فيه نيته وإخلاصه في عبوديته، ومن فني عن أخلاقه الذميمة كالحسد والكبر والبغض وغير ذلك، بقي في الفتوة والصدق"[24]. فالصوفي يفنى عن صفاته الشخصية حتى يتحلّى بصفات ربه ويتجلى بها، ويفنى عن أفعاله، فيكون الله تعالى هو الفاعل على الحقيقة في كل شيء، ويفنى عن ذاته بالكليّة، فلا يرى لنفسه قياما ووجودا إلا بالله تعالى، وهذه هي حقيقة الموت ومعناه العميق عندهم.

ويعبّر لنا الشيخ الأكبر ابن العربي، في أبيات من الشعر، عن معنى هذا الفناء وكيف أنّه، أي ابن العربي، وَجدَ الحياة الحقّة بإماتة حسّه حتى تجلى النور في قلبه:

زلزلتْ أرضُ حسّي
وفني عينُ نفسي
وبدا نورُ شمسي
وغدا النورُ حيّاً للكبير المتعالي نَجِيّا[25]

فالمعنى الحقيقي للحياة في مفهوم الصوفية إنّما يكون في الفناء عن الحسّ والتجرد من رغبات النفس وإماتة شهواتها، فأهل الفناء أموات وقتلى ولكنهم أحياء عند أهل العرفان والكشف. وفي هذا يقول الشيخ الأكبر:

إنّ الذين لهم علمٌ ومعرفة *** قتلى وهم عند أهل الكشف أحياء[26]

ويقول في أبيات أخرى من الشعر في سياق الحديث عن الفناء كموت:

اقتلوني يا عداتي *** بوفائي بعداتي
إنّني أحيى بهذا *** فحياتي في مماتي
ينقل الشخصُ اختصاصا *** من هنا لا عن ممات
ويراه الحسُّ في صو *** رة أقوامٍ مَوات
وبعين الكشف يعلم *** أنَّ ذا غير مُواتي
بل حياةٌ استمرت *** في فتى أو فتيات[27]

فالحياة الحقّة كما يراها أهل التصوف ليست هذه الحياة الحسّية بل هي الحياة الروحية، وهي ما كان السبيل إليها بالموت الذي بمعنى الفناء.

ج-الموت كبقاء للحضور الدائم مع الله:

ومن خلال ما تقدم ندرك العلاقة بين المعنى العميق للموت والحياة الحقيقية في التصوف، وكيف أنّ الموت هو بوابة لدخول حياة أسمى تتميّز بالحضور المستمر مع الله، أو قل تتميّز بـ"البقاء"؛ حيث "رؤية العبد قيام الله على كل شيء من عين الفرق"[28].

فالموت لدى الصوفية بهذا المفهوم والرؤية، هو الحقيقة المركزية في الحياة، فمن أراد الحياة الحقيقية فلا بد أن يعيش حقيقة الموت وفقا للمفهوم الصوفي، لأنّ الموت "هو موت آفات النفوس التي تعوق العبد عن صدق التوجه إلى الله، والحياة الحقّة هي التي يعيشها في رحاب الله، لأنّ النفس هي الحجاب الأعظم للعبد عن الله تعالى، ولا ينال العبد سعادة لقاء الله تعالى صحيح المعنى؛ إلاّ بمجاهدتها وقمعها وموتها. قال بعضهم: ما الحياة إلاّ في الموت، أي ما حياة القلب إلاّ في إماتة النفس"[29]. ومن هنا تتأكد حقيقة علاقة الموت في التصور الصوفي بحقيقة الحضور مع الله، فلا يمكن أن تكون هناك علاقة حضورية مع المولى تعالى ما لم يكن الموت هو السبب المؤدي إليها.

وهذا الحضور مع الله تعالى يكون بنوعين من الموت: موت شهوات النفوس والأبدان بهدف التحرر من شؤون التسفّل والانحطاط، بما يعني قمع هوى النفس لإحياء الارتباط الروحي للقلب بالله تعالى، انطلاقا من قوله عزّ جلّ: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الصافات:84]. وموت تتخلص فيه الروح عن البدن وتحيا الحياة الإلهية الدائمة السعيدة[30].

وفي إطار مسألة علاقة الموت بالحضور مع الله تعالى أو عدمه، فإنّا واجدون للموت لدى الصوفية جانبين: الجانب الأول وهو ما أسلفنا الإشارة إليه في الحديث عن الموت كفناء، حيث يفنى الصوفي عن

أخلاقه المذمومة ويبقى بتثبيت الخصال المحمودة فيه. والجانب الثاني: هو أنّ الأخلاق المذمومة كالمعاصي وغيرها هي موت للروح، فإذا كانت النفس تموت بالطاعة، فإنّ الروح تموت بالمعصية، لأنّ المعاصي دلالة على موت القلب، وموته يعني تجرده من أي شعور بعظم الذنب، فلا تسوؤه سيئته، ولا تسرّه حسنته. وفي هذا السياق يقول ابن عطاء الله السكندري(ت:709هـ): "مِنْ عَلاَمَاتِ مَوْتِ القَلْبِ، عَدَمُ الحُزْنِ عَلى مَا فَاتَكَ مِنَ المُوَافَقَاتِ، وَتَرْكُ النَّدَمِ عَلَى مَا فَعَلْتَهُ مِن وُجُود الزَّلاَّت"[31].

أمّا موت النفس بالطاعة، فلأنّ الصوفية يعتبرون العبادات والطاعات المُقربة لحضرة الله عزّ وجلّ تقهر رغبات النفس الأمّارة بالسوء، فتميتها الطاعةُ، لهذا قال جعفر الصادق رضي الله عنه(ت:148هـ): "الموت هو التوبة، قال الله تعالى:﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[البقرة:54]، فمن تاب فقد قتل نفسه"[32]، أيّ قتلها بمجاهدتها، والمجاهد من جاهد نفسه، فمن مات عن هواه فقد حيي بهداه عن الضلالة، وبمعرفته عن الجهالة. قال تعالى:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾[الأنعام:122][33].

وبناءً على ما تقدّم ذكره، فإنّ الصوفية إلى جانب إيمانهم بمفهوم الموت كما قرره الإسلام، يقررون وجود نوع آخر من الموت، كما رأينا، يسبق الموت البيولوجي الحتمي، وهو الموت المسمى عندهم بالموت الخاص، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني(ت:561هـ): "عليكم بالموت الخاص قبل الموت العام"[34]. والموت الخاص عندهم هو الذي ورد به الأثر: "موتوا قبل أن تموتوا"، ووردت الإشارة إليه عند الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه في قوله: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"، قال تعالى:﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾[ق:22]. وهذا الموت الخاص لا يدخله جميع النّاس عكس الموت العام الذي هو قدر كل كائن. ولعلّ هذا الموت الخاص هو الذي يتجلى في الألوان التي سنأتي على ذكرها.

ثانيا: ألوان الموت لدى الصوفية

إنّ للموت عند الصوفية ألواناً مختلفة أو قل أبعاداً متعددة، يقول ابن العربي: "فإنّ لأهل الله أربع موتات..."[35]، وهي الموت الأحمر والموت الأبيض والموت الأخضر والموت الأسود، وهي من المصطلحات الموروثة في السلوك الصوفي. وتذهب الباحثة الأكبرية سعاد الحكيم في معجمها الصوفي إلى أنّ أوّل من أطلق هذه المصطلحات أحد أجلّ مشايخ خرسان وهو حاتم الأصم(ت:237هـ) إذ يقول: "من دخل في مذهبنا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتا أبيض، وموت أسود، وموتا أحمر، وموتا أخضر"[36].

1-الموت الأحمر: وهو مخالفة النفس وقمع هواها، وحرمانها من شهواتها وإجبارها على ترك عاداتها ومألوفاتها، فهي لا تموت كما يقول الشيخ أحمد بن عجيبة(ت:1224هـ): "إلاّ بما يثقل عليها"[37]. واستدلوا لذلك من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم لمّا رجع من جهاد الكفار قال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر". قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: مخالفة النفس". وفي حديث آخر قال النبي صلى

الله عليه وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه"[38]. وشبهوا هذا الموت بحمرة الدم لأنّه من خالف هواه فقد ذبح نفسه[39]. وعدّوا هذا النوع من الموت هو الموت الجامع لجميع أنواع الموتات[40].

2-الموت الأبيض: خصّوا به الجوع، وهو مناسب للضياء، لأنّه يبيّض وجه القلب وينوّر الباطن؛ فإذا لم يشبع السالك ولا يزال جائعاً فقد مات الموت الأبيض. فالبطنة تميت الفطنة، فمن ماتت بطنته حييت فطنته[41].

3-الموت الأخضر: وهو طرح الرقاع في اللباس بعضها على بعض، واستشهدوا لذلك بثوب كان يلبسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه ثلاث عشرة رقعة إحداهن قطعة جلد وهو أمير المؤمنين. ويقصدون به عموما "لبس المرقع من الخِرق المُلقاة التي لا قيمة لها. فإذا قنع من اللباس بذلك واقتصر على ما يستر العورة وتصحّ فيه الصلاة، فقد مات الموت الأخضر؛ لاخضرار عيشه بالقناعة، ونضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتي، الذي حيي به واستغنى به عن التجمّل العارض الزائل والفاني"[42]. يقول ابن العربي: "إنّما سُميت لبس المرقعات موتاً أخضر لأنّ حالته حالة الأرض في اختلاف النبات فيه والأزهار فأشبه اختلاف الرقاع"[43].

4-الموت الأسود: وهو احتمال أذى الخلق بل مطلق الأذى، والصبر على أحوالهم وسلوكهم في المعاملة. "لأنّه إذا لم يجد في نفسه حرجٌ من أذاهم، ولم تتألم نفسه بل تتلذذ به، لكونه يراه من محبوبه، فقد مات الموت الأسود، وهو الفناء في الله"[44]، إذ لا فاعل على الحقيقة إلاّ الله تعالى. يقول ابن العربي: "فإنّ في ذلك غمّ النفس والغمّ ظلمة النفس والظلمة تشبه في الألوان السواد"[45].

فهذه الأصناف من الموت هي على الحقيقة تحولات روحية تحدث للإنسان خلال حياته بالممارسة والتجربة والرياضة الروحية.

وهكذا يكون الموت عند الصوفية هو محاولة لاكتشاف العنصر الروحي الكامن بباطنهم، وذلك من أجل فهم أفضل لمعنى الحياة والموت، فيظهر لهم أنّ الحياة الحقيقية إنما تكون في الحضرة الإلهية، مستغرقة نفوسهم في الله ولله وبالله، وإنّ الموت الحقيقي ليس تغيرا مفروضا على الذهن، ولا تشتتا يجري على البدن، ولكنه مفارقة وانفصال النفس عن موطنها الإلهي.

ثالثاً: ممارسات الصوفية لتحقيق الموت:

وللتحقق بهذا الموت فإنّ للصوفية جملة من الممارسات والأعمال التي يقومون بها كوسائل تقود إلى الحضور الدائم مع الله تعالى، ومن أهم هذه الأعمال: الذكر والمجاهدة والالتزام بالشريعة ظاهرا وباطنا.

1-الذكر:

إنّ ممارسة الذكر في التصوف هي رحلة عميقة في أعماق النفس البشرية، هدفها الأساسي هو تحقيق "الموت الصغير" الذي يؤدي في النهاية إلى "الحياة الأبدية" في الحضور التام مع الله عزّ وجلّ والاستغراق الكلي في ذكره. والمقصود بالموت الصغير في التصوف لا يشير إلى الموت الجسدي، بل هو موت للأنا،

للأهواء، للشهوات، وللأغلال الدنيوية التي تربط الإنسان بالعالم المادي. إنّه تحرر من كل ما هو زائل وفاني، وولادة جديدة لروح حرّة نقية، كما كنا قد أشرنا إلى ذلك سابقا.

ويعدّ الذكر عند الصوفية روح التصوف، والركيزة الأساسية الثابتة في التربية الروحية عند جميع شيوخه. وهو أساس ثابت، عندهم بمختلف مشاربهم، لم يتغير على مرّ القرون، حيث يكون للصوفي "وِرْد للذكر" على رأس الالتزامات الأساسية التي يلتزم بها بعد أن ينتهي عن المحرمات والمكروهات ويؤدي الفرائض والسنن.

والذكر يطلق على إقامة الصلاة، وقراءة القرآن الكريم والتسبيح والدعاء والشكر وعلى العديد من أوجه الطاعات بوجه عام. وأول مراحل الذكر عند الصوفية هي ذكر اللسان، أي أن يجري الذكر على لسان الصوفي جهرا، مع الكثرة العددية، باعتبار أنّ الذكر في اللّغة هو الشيء يجري على اللسان. والمرحلة الثانية: هي الذكر القلبي، فيتحول الذكر من اللسان إلى القلب. والمرحلة الثالثة: الذكر الروحي حيث يصل الذكر إلى أرقى مراحله فيصبح الذاكر حاضراً على الدوام مع الحقّ تعالى في كل آن ولحظة من حياته، فانياً فيه[46].

ويتخصص مفهوم الذكر عند الصوفية عندما يأخذ معنى جملة من الأوراد تصنف إلى: وِرْد الذكر اللازم، وأوراد الذكر غير اللازمة، ووِرْد الذكر الدائم. فوِردْ الذكر اللازم يُقرأ مرة في النهار وأخرى في الليل ومداره حول الاستغفار، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، و "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، وتلاوة بعض سور القرآن الكريم. وأوراد الذكر غير اللازمة، كذكر الأسماء الحسنى وأدعية أخرى، خصوصا الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتلاوة القرآن العظيم. وأمّا الورد الدائم الذي ينبغي للمريد أن يلتزم به حتى يمتزج بلحمه ودمه وجميع جزئياته ظاهرا وباطنا فهو كلمة التقوى الطيبة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله"[47]. ويتدرج ذاكرها من توحيد الأفعال في علم اليقين، إلى توحيد الصفات في عين اليقين، إلى توحيد الذّات في حق اليقين.

وبالإضافة إلى هذا فإنّ للصوفي كيفية معينة يردد بها لفظ الجلالة (الله) بالمدّ والتعظيم، وهو الاسم الأعظم الجامع لكل الأسماء، باعتبار أنّ جميع الأسماء الإلهية هي للتخلق إلاّ اسم "الله" فهو للتعلق. ويصحب هذا الذكر استعدادات كأن يكون المريد على طهارة واستقبال القبلة. وتجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أنّ الصوفية مجمعون في كل زمان على أنّ مفتاح الولاية الكبرى هو هذا الاسم المفرد الكافي (الله) لقوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[العنكبوت: 45]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾[الزمر: 36]. وهذا السلوك الروحي بذكر اسم (الله) يكون بعدما تنطبع ذات المريد الصوفي في أنوار وحقائق "لا إله إلا الله"–التي أشرنا إليها سابقا على أنّها تمثل وِرد الذكر الدائم–وتصطلي بجذوة الشوق، فيقوم الشيخ المربي بعد ذلك بنقل مريده الصوفي إلى ذكر الاسم الأعظم الجامع: (الله)، فينقطع حينئذٍ انقطاعا تاما له، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾[المزّمّل:8] وهذا الانقطاع يكون في البداية في الخلوة بإشراف الشيخ، ثم بعد قطع

مراحل لازمة لكل سالك يولد إثرها في عالم الملكوت يخرج الصوفي لجلوة:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة 115][48].

ويقول ابن عطاء الله السكندري مبيّنا أهمية الذكر لتحقيق الحضور الدائم مع الله تعالى: "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأنّ غفلتك من وجود ذكره أشدّ من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز"[49].

وهذه الغيبة عما سوى المذكور هي التي تسميها الصوفية بالفناء كما كنا قد تحدثنا عن ذلك، وهو الذي يحقق الحضور الدائم مع الله تعالى.

2-المجاهدة والتزكية:

وإلى جانب الذكر فإنّ المجاهدة تعدّ من أهمّ الممارسات والأعمال الصوفية لتحقيق معنى الموت. فالمجاهدة هي استفراغ الجهد والوسع في مدافعة العدو، ولها عند الصوفية معنى شمولي يقضي بأن تكون على ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر بالقتال في ميادين الحرب، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى:﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ﴾[الحج:78][50].

وهي لدى الصوفية مواجهة مستمرة مع النفس الأمّارة بالسوء. وتهدف إلى تطهير النفس وتزكيتها من الرذائل والشهوات ومن الأنانية والحسد والكبر وغيرها من آفات النفس ومألوفاتها، والزجّ بها في طاعة الله تعالى والخوف منه والأنس به وصولا إلى الكمال الروحي والقرب من الله تعالى. وفي هذا السياق يعرّف الإمام القشيري(ت:465هـ) المجاهدة بقوله: "واعلم أنّ أصل المجاهدة وملاكَها: فطم النفس عن المألوفات، وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات"[51].

فالمجاهدة في اصطلاحات الصوفية تأخذ جانبين: جانب مادي يظهر في تحمّل المشاق البدنية الذي يقوم على الأركان الأربعة المعروفة لها وهي: الجوع والسهر والصمت والعزلة والخلوة. وجانب روحي يكون بمخالفة الهوى والنفس ومدافعة أمراض القلوب. وفي هذا المعنى يقول الشيخ محيي الدين ابن العربي: المجاهدة "حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى على كل حال"[52].

وتتأسس مشروعية المجاهدة لدى الصوفية انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية. قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت:69]. وفي السنّة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم من المسلم؟ مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنَه النّاس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر مَن هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد مَن جاهد نفسه في طاعة الله"[53]. وفي تفسير قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ

مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[التوبة:123]، يقول الشيخ محيي الدين بن العربي: "ويؤخذ من هذه الآية إشارة إلى الجهاد الأكبر، وهو جهاد الهوى؛ فإنّه أكبر الأعداء إليك الذين يلونك؛ فإنّه بين جنبيك، ولا أكفر من النفوس بنعم الله؛ فإنّها في كل نَفَسٍ تكفر نعمة الله عليها من بعد ما جاءتها، ولا يلي الإنسان أقرب إليه من نفسه، وجهاد النفس أعظم من جهاد العدو؛ لأنّ الإنسان لا يخرج إلى جهاد العدو إلا بعد جهاد نفسه"[54].

ومن هذا المنطلق فإنّنا نجد طريق الموت "المجاهداتي" التزكوي يقوم على إحداث تحولٍ جذري في أعماق النفس الإنسانية بنفاذه إلى جذورها المعلولة واجتثاثها من أصولها مستبدلاً مكانها بذورا روحية أخلاقية حيّة لا تفتأ بالنمو وإثمار الثمرات الطيّبة كالإخلاص واليقين والتوكل والرضا والقناعة بالاستمرار في طريق التزكية والمجاهدة والصعود في مراتبها ومقاماتها وأحوالها والوقوف على بساط العبودية المحضة لله تعالى ربّ العالمين[55].

وبناء عليه فليس في عمل المجاهدة ما هو خارج عن حدود الشرع؛ "لأنّ الصوفي لا يكتفي بمجرد حمل النفس على خلاف هواها، وإنّما يقوم بإلزامها بتطبيق شرع الله تعالى والالتزام به في الظاهر والباطن؛ فالمجاهدة لا تتحقق إلا بالجهاد الخارجي المتعلق بالجسم والجوارح، والجهاد الباطني المتعلق بالقلب والنفس، وبهذا يتحقق التكامل بين الظاهر والباطن"[56].

3-سلوك طريق الشريعة:

ولذلك يعدّ الالتزام الكامل ظاهراً وباطناً وفي جميع أحوال الصوفي بالشريعة من أهم الممارسات والأعمال التي تفضي للتحقق بالموت في المفهوم الصوفي، باعتبارها الأساس والمنهاج والغاية التي يقصدها طريق القوم. إذ أنّ الالتزام بها يعدّ أعظم كرامة يوفق إليها العبد فلا يكون الفتح في الحقائق إلا بقدر هذا الالتزام. وفي هذا السياق يقول الشيخ محيي الدين ابن العربي في بيت من الشعر:

ما نال من جعل الشريعة جانبا *** شيئا ولو بلغ السماء مناره

ويقول أيضا في بيت شعري آخر:

لا تقتد بمن زالت شريعته *** عنه ولو جاء بالأنباء عن الله[57]

وفي هذا المعنى يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلي(ت:656هـ): "ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنّة، فمن أعطيها وجعل يشتاق لغيرها فهو عبد مفتر كذّاب، أو ذو خطأ في العلم والصواب، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا وجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا"[58]. ويقول أيضا: "وإذا عارض كشفك الكتاب والسنّة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إنّ الله تعالى قد ضمن العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنهما في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة". وفي هذا السياق نفسه يقول الشيخ أحمد بن عجيبة: "وقد رأيت كثيرا من الفقراء قصّروا من الشريعة فخرجوا من الطريقة وسلبوا نور الحقيقة، ورأيت آخرين طال أمدهم في صحبة القوم ولم يظهر عليهم بهجة المحبين ولا سيما العارفين، وما ذلك إلاّ لعدم التحفظ

على مراسهم الشريعة. فو الله ما رأينا الخير إلاّ فيها ولا ربحنا إلاّ منها. فالله يرزقنا الأدب معها إلى يوم الفصل والقضاء آمين"[59].

رابعاً: أثر الموت الصوفي في حياة الإنسان:

وبهذا المنظور وفي إطار هذه الممارسات والأعمال نحو تحقيق الموت في الرؤية الصوفية، فإننا ندرك أنّ هذا الموت الصوفي ليس مجرد مفهوم نظري، بل هو تجربة عملية يعيشها الصوفي في حياته اليومية. ويمثل ثورة روحية داخلية تهدف إلى تطهير النفس وتزكيتها، وصولا إلى الكمال الإنساني والتقرب من الله تعالى. وهو هدف كل صوفي يسعى إليه، إذْ يمثل الكمال الروحي والتقرب من الله تعالى، كما أنّه يجعل حياة الإنسان أكثر معنى وهدفاً، ويحقق له السعادة الحقيقية والسلام الداخلي.

هذا الموت الروحي يؤثر بشكل جذري على حياة الإنسان، ويترك آثارا عميقة على سلوك الإنسان ونظرته للحياة، ومن هذه الآثار: العبودية، السكينة والطمأنينة، المحبة، والحرية، والتكامل مع الكون.

1-العبودية:

وما تجدر ملاحظته أولاً، أن مفهوم العبودية ومعناها لدى الصوفية يقوم على التفرقة بين نوعين من العبودية: أولهما: عبودية مُهلكة، تمسخ وجدان الإنسان، وتجعله تابعا لشهوات نفسه الأمّارة بالسوء، لاهثًا وراء ملذاته العاجلة، وهي "عبودية الأغيار" كما يصطلحون عليها. والنوع الثاني: عبودية مُنجية ومُحررة يُحقق من خلالها الإنسان أقصى إمكاناته الروحية، وتعلو بها ذاته، وتشرف نفسه، وهي العبودية لله عزّ وجلّ[60].

وهذا النوع الأخير من أظهر آثار الموت الصوفي في حياة الإنسان؛ وذلك لأنّ الدخول في العبودية بعد التحرر من رق الأغيار هو الجانب الإيجابي من مفهوم هذا الموت، والدخول في العبودية يعدّ من المفاصل الأساسية المقوّمة لمفهوم الموت لدى الصوفية، والتحقق بها من أهم آثاره.

فالعبودية ذلة وافتقار، وهي من أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربّه؛ ومن هنا جاء النص عليها في القرآن الكريم في تعلقها رأسا بالإنس والجنّ؛ لأنّهما قد يخرجان عن حقيقتهما أحيانًا؛ فيدَّعون ما ليس لهم من الربوبية، قال الله عزّ وجلّ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:56]. وفي هذه الآية يقول الشيخ ابن العربي: "وما قال الله ذلك في غير هذين الجنسين؛ لأنّه ما ادّعى أحدٌ الألوهية ولا اعتقدها في غير الله إلاّ هذان الجنسان؛ ولذا خصّهما الله تعالى بالذكر دون سائر المخلوقات. ومعنى ليعبدون: أي ليعرفوني بذلتهم لي، ولا يذلُّ لله من لا يعرفه؛ فالذلّة لله تعالى مسبوقة بمعرفته، وأنّه ذو العزة"[61].

إنّ وصول الإنسان إلى تعريف ذاته بكونه عبداً لله، لا يكون إلاّ بعد اجتياز الإنسان لعقبات ومراحل عديدة، ينفي فيها كل أنواع التعريفات الأخرى للإنسان؛ فلا اسم، ولا صفة، ولا أي خاصّية يمكن أن تستوعب جوهر الكائن، إنّ كل ذلك عرضي، والحقيقة الوحيدة التي ينطوي عليها جوهر الإنسان هي عبوديته الصحيحة

لله، والتي لا تقبل العتق بحال، وبالوصول إلى العبودية يُهيئ الكائن لنفسه الفرصة الحقيقية لتحقيق الحرية، فلا حرية أصيلة عند الصوفي إلاّ في إطار العبودية[62].

فالموت عند الصوفية يحقق العبودية ومن ورائها الحرية من رِقّ الأكوان.

2-السكينة والطمأنينة:

كما أنّ تحقيق الطمأنينة والسكينة يعدّ أحد أهم الآثار الإيجابية التي تترتب على تجربة الموت الصوفي. فالإنسان الذي يمر بتجربة الموت الروحي كما هي في التجربة الصوفية يكون قد فهم حقيقة الحياة والموت واستوعب حقيقة أنّ الحياة الدنيا فانية وأنّ الموت هو الحقيقة الثابتة. هذا الفهم العميق لا شك أنّه سيخفف إلى حدٍ بعيدٍ من وطأة الخوف والقلق الوجودي والمصيري الذي ينتج عن التعلق بالحياة الدنيا وأمورها الزائلة. وهذا يؤدي إلى أن يقطع الإنسان صلته بالشهوات والأهواء الدنيوية، وهذا بدوره يفضي إلى شعوره العميق براحة البال واستقرار النفس. فالإنسان الذي يقطع صلته بالدنيا يصبح قلبه خاليًا من الشواغل والهموم، ومن هنا يكون أكثر توكلاً على الله تعالى، وهو ما يمنحه طمأنينة قلبية وراحة نفسية لا يضاهيها شيء، فيدرك من خلال ذلك حقيقة أنّ كل ما يحدث هو بقضاء الله وقدره فيكون أكثر رضا وقناعة بما قسم الله له، وهذا الرضا يولد طمأنينة وسكينة قلبية ويزيل الهمّ والحزن.

فالرضا من ثمرات الموت الروحي؛ فإنّ الإنسان إذا تحرر من رق الأغيار، ودخل في عبودية الله تعالى عبودية نابعة من خالص المحبة، متجردة عن الأغراض، إذا تحقق الإنسان بذلك، رضي بما يكون من مولاه، وسكن قلبه واستوت عنده النعماء والضراء. فالرضا هو سكون القلب وطمأنينته مع تقلب الأحوال عند مجاري الأقدار، وفي ذلك يقول الهجويري(ت: 465هـ): "وفي الجملة: فإنّ رضاء العبد هو استواء قلبه على طرفي القضاء: إمّا منع، وإمّا عطاء، واستقامة سرّه على مشاهدة الأحوال: إمّا جلال، وإمّا جمال، بحيث إنّه إذا وقف بالمنع، أو سبق بالعطاء: يتساوى رضاؤه، وإذا احترق بنار هيبة الحقّ وجلاله، أو أضاء بنور لطفه وجماله: يستوي لدى قلبه الاحتراق والإضاءة؛ لأنّ ذلك عنده شاهد الحقّ، وكل ما يكون من الحقّ: فهو خير كله له إذا رضي بقضائه"[63]. فمن خلال الرضا يعالج الصوفية تمزق الإنسان بين اللذة والألم؛ فالإنسان يفرح حين تقبل عليه الدنيا، وقد يحدث أن تزول عنه، فيتألم لذلك أشدّ الألم، وتصبح حياته بين تعاقب الفرح والألم عذابا نفسيا لا يطاق، وهذا هو المعنى المشار إليه عند الصوفية في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ﴾[الحديد:23][64].

وباختصار، يمكن القول أنّ الموت الصوفي يؤدي إلى تحرر الإنسان من قيود الدنيا وشهواتها وتحقيق السلام الداخلي والطمأنينة. وهذا لا يعني أنّ الصوفي لا يشعر بالحزن أو الألم، بل يعني أنّه يواجه هذه المشاعر بطريقة مختلفة، بحيث لا تؤثر على إيمانه وطمأنينته وسكينته القلبية.

3-المحبّة:

يقول الحارث المحاسبي(ت:243هـ) المحبّة: "مَيْلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرّا وجهرا، ثمّ علمك بتقصيرك في حبّه"[65]. إنّ هذا المفهوم للمحبّة يعطي أنّ لتجربة الموت الصوفي بالغ الأثر في تحقيق هذه المحبّة بمختلف مستوياتها: ويأتي في المستوى الأعلى محبّة الله تعالى التي هي من لوازم معرفته، فإنّه من عرف الله تعالى أحبّه. ومحبة الله تعالى باعتبارها طاعةً لله هي من ثمرات هذا الموت الصوفي ومن لوازم التحقق بالعبودية؛ لأنّ المحبّة تعني موافقة المحبوب، وهي حالة للقلب، تلْطُفُ عن العبارة، وهي تحمل الإنسان على تعظيم الله عزّ وجلّ، وإيثار رضاه، ودوام ذكره، وموالاته بالطاعة. ومحبّة الله عزّ وجلّ تقتضي إفراغ القلب مما سوى الله بمقتضى صفاء السريرة في عبوديته، وعدم التعلق بما سواه، وهذه حالة متعالية من الإخلاص في العبادة، والتجرد لله تعالى وحده[66].

فمحبّة الله هي أصل جميع المقامات والأحوال، ولذا اختص بكمالها سيد النبيين وإمام المرسلين، سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، هذا خاصّة إذا علمنا أنّ الله عزّ وجلّ جعل طاعة نبيّنا الكريم صلى الله عليه وسلم طريقا لمحبّة الله تعالى، قال جلّ وعلا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[آل عمران:31][67].

وهذا الحب الإلهي يفضي بالإنسان إلى محبّة المؤمنين وتفهم أحوالهم وحسن معاملتهم والعمل على خدمتهم، ويزج به إلى دائرة محبة الخلق أجمعين، حيث أنّ الموت الصوفي الذي يسلكه الإنسان يوسع في مداركه فيرى في كل مخلوقات الله تعالى آية من آيات الله تعالى فيحبهم ويحترم كرامتهم. إنّ الموت الصوفي هو الطريق الأمثل لتحقيق المحبّة في قلب الإنسان، فهو يجعل الإنسان أكثر إنسانية، وأكثر قربًا من الله تعالى، وأكثر قدرة على أن يحب كل مخلوق.

4-الحرية:

والتجربة الروحية الصوفية من خلال الموت الصوفي، تؤدي أيضا إلى نوع من الحرية لا يضاهيه أي نوع آخر، وفي هذا السياق يعرّف أبو القاسم القشيري الحرية عند الصوفية بقوله: "ألاّ يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات"[68]. ويعرّفها الشيخ ابن العربي بقوله: "التحرر من كل ما سوى الله، والدخول في عبوديته اختيارا"[69].

وهذه الحرية تتجلى في عدة جوانب منها: الحرية من عبودية الشهوات؛ فالموت الصوفي يُعني، كما رأينا سابقا، بقطع الصلة بالشهوات والأهواء الدنيوية، وهو ما يفضي إلى تحرر الإنسان من عبودية هذه الشهوات التي تسلب منه إرادته وهدوئه. ومن بين هذه الجوانب الحرية من الخوف والقلق؛ فالصوفي الذي يدرك حقيقة الموت والحياة، ويتوكل على الله، يصبح أكثر جرأة وشجاعة، ويتحرر من الخوف والقلق اللذين يسيطران على حياة الكثير من الناس. ومنها أيضا: الحرية من الأنا؛ فالموت الصوفي يعني موت الأنا وزوال الشعور بالكبر والتفاخر، وبالتالي تحقيق الحرية الحقيقية التي تتمثل في الخضوع لله تعالى. ومنها أيضا الحرية من قيود

المجتمع؛ فالصوفي الذي يقطع صلته بالدنيا، ولا يتعلق بأمورها الزائلة، يصبح أكثر حرية في اتخاذ قراراته، ولا يخضع لضغوط المجتمع. كما أنّ الموت الصوفي هو في الأساس تحرر روحي، حيث يتحرر الإنسان من قيود النفس الأمارة بالسوء، ويصبح أكثر قربًا من الله تعالى. باختصار "الحرية أن تتحول النفوس مرتحلة من طينة الأرض إلى عباب السماء، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب، وأن يكون الحضور بين يدي الله على ديدن الثقة، والطمأنينة، والتسليم، معصوما من الغفلة والتعطيل"[70].

وبالجملة: فالحرية عند الصوفية، من خلال التعريفات المشيرة إلى فعل التحرر، تكون بتحرر يحقق عبودية الإنسان الاختيارية لله عزّ وجلّ، عبودية سابحة في عالم الروح، عبودية تحرر الإنسان من التعلق بالمقاصد المادية دنيوية كانت أم أخروية، فإذا لم يكن العبد تحت عبودية المخلوقات فهو في رحاب الحرية متحررا من رق الكائنات، معرضا عما سوى الله، مقبلًا عليه[71].

5-التكامل مع الكون:

إنّ مفهوم التكامل مع الكون هو من المفاهيم العميقة في التصوف الإسلامي، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بتجربة الموت الصوفي من حيث أنّه من أهم آثاره في حياة الإنسان. والتكامل مع الكون في التصوف لا يعني الانصهار في الطبيعة أو فقدان الهوية، بل يعني إدراك الإنسان جلالة قدره، إنّه إدراك عميق للعلاقة بين الخالق والمخلوق، وبين الإنسان والطبيعة. قال تعالى:﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[الإسراء:70]، وقال عزّ وجلّ:﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾[التين:4]. وفي هذا السياق يقول ابن عجيبة: "وليعلمك أيضا أنّك جوهرة نفيسة مصونة في صدف نفيس، وهو الكون بأسره، فتطوى عليك أصداف مكوناته من عرشه إلى فرشه، فأنت أيّها الإنسان كالياقوتة في صدف، الأرض تقلك، والسماء تظلك، والجهات تكتنفك، والحيوانات تخدمك وتنفعك، والجمادات تدفع عنك، وأنت في وسط الجميع، فالأفلاك دائرة بك، والشمس والقمر منيران لما أنت فيه، فأنت جوهرة الصدف، ولباب الكون ومداره عليك"[72].

وفي هذا السياق ممّا ينسب للشيخ أبي العباس المرسي رضي الله(ت:686هـ) عنه قوله في أبيات من الشعر:

يا تائها في مهمهٍ عن سرّهِ *** انظر تجد فيك الوجود بأسره
أنت الكمال طريقة وحقيقة *** يا جامعاً سِرّ الإله بأسره

وهذا لبيان أنّ الوجود كله منطوٍ في الإنسان، فهو نسخة من العالم الأكبر. ومن هنا المضاهاة بين الإنسان وبين هذا العالم، فما هو موجود في هذا العالم يضاهيه ويماثله ما في الإنسان.

يا سابقاً في موكب الإبداع *** ولاحقاً في جيش الاختراع
اعقل فأنت نسخة الوجود *** لله ما أعلاك من موجود
أليس فيك العرش والكرسي *** والعالم العلوي والسفلي
ما الكون إلاّ رجل كبير *** وأنت كون مثله صغير[73]

وبالإضافة إلى هذه الحقيقة في التكامل بين الكون والإنسان التي هي أثر من آثار الموت الصوفي، يمكن الذهاب إلى القول أنّ الموت الصوفي يحقق هذا التكامل أيضاً انطلاقا من إدراك الإنسان لحقيقة أنّ تخلصه من الأحقاد والأضغان يجعله قادرًا على محبة كل مخلوق، سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا. وأنّ الخضوع لله تعالى يجعله أكثر تواضعًا أمام الكون كله. وأنّ شعوره بوحدة الوجود يجعله يدرك أنّ كل شيء في الكون هو تجلي لصفات الله تعالى وأسمائه الحسنى. فحالة الصوفي الذي يعيش في انسجام مع نفسه، يكون أكثر انسجامًا مع الطبيعة المحيطة به، والذي يدرك أنّ كل شيء في الكون قائم بالله تعالى وهو آية من آياته عزّ وجل يسعى دائماً إلى خدمته وحمايته.

خاتمة:

بعد هذه القراءة لمفهوم الموت لدى الصوفية في علاقته بتحقيق الحضور مع الله تعالى، ومن خلال الإشكالية الأساسية التي طرحناها في مقدمة هذه الورقة حول كيف فهم الصوفية الموت وإلى أي مدى تتجلى العلاقة بين هذا الفهم وبين تحقيق الحضور مع الله تعالى في حياة الإنسان؟ فإنّه يمكننا القول بصفة عامة أنّ الرؤية الصوفية تقوم على النظر إلى الموت على أنّه ليس نهاية الحياة بل بداية لحياة أبدية تتمظهر أساسا في الحضور الدائم مع الله تعالى، وأنّ تحقيق هذا الحضور الدائم مع الله تعالى من خلال هذا الموت هو الهدف الأسمى للحياة التي يسعى الصوفي جاهدا لتحقيقها بشتى الوسائل والأعمال والممارسات من خلال تجربته الروحية الحيّة.

ومن أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة ما يلي:

1-إنّ الصوفية إلى جانب إيمانهم بمفهوم الموت كما قرره الإسلام، يقررون وجود نوع آخر من الموت يسبق الموت البيولوجي الحتمي، فالموت في الرؤية الصوفية أكثر من مجرد نهاية وليس مقصوراً على لحظة فراق الروح عن الجسد، إنّ الموت الحقيقي عندهم هو الموت عن الشهوات والأهواء والانفصال التام عن الملذات الدنيوية والانعتاق من قيود المادة والانصراف الكلي إلى الله تعالى والتعلق به.

2-إنّ معنى الموت في التصور الصوفي، الذي هو انعكاس للأساس الاعتقادي المبني على التوحيد، هو أن يفنى العبد عن صفاته البشرية ويتحقق بالصفات والأسماء الإلهية ويبقى بها. فالعلاقة بين المعنى العميق للموت والحياة الحقيقية في التصوف، تظهر في كيفية أنّ الموت هو بوابة لدخول حياة أسمى تتميّز بالحضور المستمر مع الله، أو قل تتميّز بـ"البقاء"، حيث رؤية العبد قيام الله تعالى على كل شيء.

3-للموت عند الصوفية ألواناً مختلفة أو قل أبعاداً متعددة هي: الموت الأحمر والموت الأبيض والموت الأخضر والموت الأسود، وهي من المصطلحات الموروثة في السلوك الصوفي.

4-للصوفية جملة من الممارسات والأعمال يقومون بها كوسائل تقود إلى التحقق بالموت والحضور الدائم مع الله تعالى، ومن أهم هذه الأعمال: الذكر والمجاهدة والتزكية والالتزام بالشريعة ظاهرا وباطنا.

5-من تجليات وآثار العلاقة بين الموت والحضور الإلهي في حياة الصوفي، والذي يؤثر بشكل جذري على حياة الإنسان ويترك آثارا عميقة على سلوكه ونظرته للحياة تحقيق ما يلي: العبودية لله عزّ وجلّ، السكينة والطمأنينة، المحبّة، الحرية، والتكامل مع الكون.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

---

[1]- ابن منظور، (2004)، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ج14، ص147.

[2]- المصدر نفسه، ص148.

[3]-ابن فارس، *مقاييس اللغة*، (1399هـ)، دار الفكر، بيروت، ج5، ص283.

[4]-ابن حبان، (2012)، *صحيح ابن حبان*، تحقيق: محمد علي سونمز وخالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت. كتاب الصلاة، باب: فرض الجماعة والأعذار التي تبيح تركها، (ذِكْرُ إِخْرَاجِ الْمُصْطَفَى صَلى الله عَلَيه وسَلم إِلَى الْبَقِيعِ مَنْ وَجَدَ مِنْهُ رَائِحَةَ الْبَصَلِ وَالثُّومِ) حديث:2091، ج2، ص33.

[5]-الفيروزآبادي، (2005)، *القاموس المحيط*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، ص160.

[6]-مازن بن محمد بن عيسى، (2012)، الإيمان باليوم الآخر، وأثره على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير في العقيدة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، السودان، ص291.

[7]-أبو حامد الغزالي، (1982)، *إحياء علوم الدين*، دار المعرفة، بيروت، ج4، ص493-494.

[8]-ابن عربي،(د.ت)، *الفتوحات المكية*، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ج4، ص424. أنظر: سعاد الحكيم،(1981)، *المعجم الصوفي*، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص1032

[9]-مسلم، (1955)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، القاهرة. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميّت من الحنة أو النار عليه، حديث 2874، ج4، ص203.

[10]-المصدر نفسه، حديث2870، ج4، ص201.

[11]-محمد الرزقي، (2014)، *ظهور الروح*، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، ص52-53.

[12]-القرطبي،(1425هـ)، *التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة*، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، الرياض، ط1، ص111-112.

[13]- محمد الرزقي، *ظهور الروح*، ص53.

[14]–مسلم، صحيح *مسلم*، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، حديث2849. (مصدر سابق)، ج4، ص188.

[15]–الششتري،(2008)، *ديوان أبي الحسن الششتري*، تقديم ودراسة محمد العدلوني الإدريسي، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، ط1، ص203.

[16]– أبو خزام أنور فؤاد، (د.ت)، معجم *المصطلحات الصوفية*، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط)، ص180.

[17]–ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ج4، ص290. أنظر: سعاد الحكيم، *المعجم الصوفي*، ص1029.

[18]–المصدر نفسه، ج4، 290. أنظر: سعاد الحكيم، *المعجم الصوفي*، ص1028–1029.

[19]–المصدر نفسه، ج4، ص67. أنظر: سعاد الحكيم، *المعجم الصوفي*، ص1029.

[20]–الترمذي، (2009)، *سنن الترمذي*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، ط1. باب: ما جاء في ذكر الموت، حديث2460، ج4، ص348.

[21]–التهانوي محمد علي،(1996)، *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، ج1، ص528.

[22]–أبو نصر السراج الطوسي،(1960)، *اللمع*، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، (د.ط)، ص49.

[23]–المصدر نفسه، ص51.

[24]–سعاد الحكيم، *المعجم الصوفي*، ص202. الطوسي، *اللمع*، ص53.

[25]–ابن عربي(2002)، ديوان ابن عربي، شرحه أحمد حسن سبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص186.

[26]–المصدر نفسه، ص362.

[27]–المصدر نفسه، ص382. أنظر: ملك حسان محمود عبد القادر،(2020): "صورة الموت في شعر محيي الدين بن عربي"، Journal of Academic Research in Religious Sciences 20/2 . (September 2020): 1131–1165. https://doi.org/10.33415/daad.736305

[28]–ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص133. أنظر: سعاد الحكيم، *المعجم الصوفي*، ص202.

[29]–مجدي محمد إبراهيم،(2004)، *مشكلة الموت عند صوفية الإسلام*، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، ص317.

[30]–المرجع نفسه، ص318.

[31]–ابن عجيبة،(د.ت)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص7.

[32]–عبد الرزاق القاشاني،(1992)، معجم *اصطلاحات الصوفية*: تحقيق عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط1، ص110.

[33]–المصدر نفسه، ص111.

[34]–عبد القادر الجيلاني(2004)، *الفتح الرباني والفيض الرحماني*، المكتبة العصرية، ص143.

[35]– ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ج1، ص258.

[36]– سعاد الحكيم، *المعجم الصوفي*، ص1030.

[37]–ابن عجيبة،(2000)، *الفتوحات الإلهية*، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، ص77. أنظر: محمد الرزقي، ظهور الروح، ص63.

[38]–الترمذي، *سنن الترمذي*، باب ما جاء في فضل من مات مرابطا، حديث1715، ج3، ص436.

[39]– ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ج1، ص258.

[40]–عبد الرزاق القاشاني، *معجم اصطلاحات الصوفية*، ص111.

[41]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[42]–المصدر نفسه، ص111–112.

[43]–ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ج1، ص258.

[44]–عبد الرزاق القاشاني، *معجم اصطلاحات الصوفية*، ص112–113.

[45]–ابن عربي، *الفتوحات المكية*، ج1، ص258.

[46]–محمد الرزقي، *ظهور الروح*، ص73–74.

[47]–الترمذي، *سنن الترمذي*، أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: حديث3903.

[48]–أنظر: عبد الباقي مفتاح، (2012)، *الاسم الأعظم*، دار الكتب العلمية بيروت، ط1.

[49]–ابن عجيبة، *إيقاظ الهمم في شرح الحكم*، ص7. أنظر: محمد الرزقي، *ظهور الروح*، ص73.

[50]–الراغب الأصفهاني،(د.ت)، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص101.

[51]–القشيري،(1989)، *الرسالة القشيرية*، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ص190.

[52]–ابن عربي، *رسالة اصطلاحات الصوفية*، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، ص17.

[53]–أحمد بن حنبل،(2001)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، حديث23968. ج39، ص387.

[54]–محمود محمود الغراب،(1989)، *رحمة الرحمن في تفسير وإشارات القرآن من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي*، مطبعة نضر، دمشق، ط1، ج2، ص288.

[55]–عواد محمود عواد سالم(د.ت): *"الحرية عند الصوفية دراسة تحليلية"*، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد 40، ص709–711.

[56]–المرجع نفسه، ص 700–701.

[57]–ابن عربي، *الفتوحات المكية*، الباب 181.

[58]– ابن عطاء الله السكندري،(2006)، *لطائف المنن*، تحقيق عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص66–67.

[59]–ابن عجيبة،(د.ت)، *إيقاظ الهمم في شرح الحكم*، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1، ص211.

[60]–سعاد الحكيم، (2009): *"الحرية مقام إنساني وتركها أعلى"*، مجلة التسامح، سلطنة عمان، شتاء عام 2009، ص119. أنظر: عواد محمود عواد سالم: *"الحرية عند الصوفية دراسة تحليلية"*، ص714.

[61]–ابن عربي، الفتوحات المكية، ج2، ص214.

[62]–سعيد الشبلي،(2008)، *الإنسان والحرية عند محيي الدين بن عربي*، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط2، ص268.

[63]–أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري،(2007)، *كشف المحجوب*، تحقيق: إسعاد عبد الهادي قنديل، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ج2، ص405.

[64]–أنظر: عواد محمود عواد سالم: "الحرية عند الصوفية دراسة تحليلية"، ص725.

[65]–القشيري، *الرسالة القشيرية*، ص524.

[66]–أنظر أقوال الصوفية في المحبة: القشيري، *الرسالة القشيرية*، ص518–530. وانظر: عواد محمود عواد سالم: *"الحرية عند الصوفية دراسة تحليلية"*، ص726.

[67]–عواد محمود عواد سالم: *"الحرية عند الصوفية دراسة تحليلية"*، الصفحة نفسها.

[68]–القشيري، *الرسالة القشيرية*، ص378.

[69]–عبد الرزاق القاشاني، *معجم اصطلاحات الصوفية*، ص82.

[70]–مجدي محمد إبراهيم،(2004)، الحرية عند ابن عربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، ص26.

[71]–المرجع نفسه، ص54.

[72]–ابن عجيبة،(د.ت)، إيقاظ الههم في شرح الحكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ص329.

[73]–المصدر نفسه، ص329–330.

المصادر والمراجع:

1-إبراهيم، مجدي محمد(2004)، الحرية عند ابن عربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2.

2-إبراهيم، مجدي محمد(2004)، *مشكلة الموت عند صوفية الإسلام*، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1.

3-الأصفهاني، الراغب(د.ت)، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

4-الترمذي(2009)، *سنن الترمذي*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة، ط1.

5-التهانوي، محمد علي(1996)، *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1.

6-الجيلاني، عبد القادر(2004)، *الفتح الرباني والفيض الرحماني*، المكتبة العصرية، (د.ط).

7-ابن حبان، (2012)، *صحيح ابن حبان*، تحقيق: محمد علي سونمز وخالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت.

8-الحكيم، سعاد(1981)، *المعجم الصوفي*، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

9-ابن حنبل(2001)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1.

10-الرزقي، محمد(2014)، *ظهور الروح*، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، ط1.

11-السكندري، ابن عطاء الله(2006)، *لطائف المنن*، تحقيق عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط3.

12-الشبلي، سعيد(2008)، *الإنسان والحرية عند محيي الدين بن عربي*، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط2.

13-الششتري(2008)، *ديوان أبي الحسن الششتري*، تقديم ودراسة محمد العدلوني الإدريسي، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، ط1.

14-الطوسي، أبو نصر السراج(1960)، *اللمع*، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، (د.ط).

15-ابن عجيبة(د.ت)، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).

16-ابن عجيبة(د.ت)، *إيقاظ الهمم في شرح الحكم*، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1.

17-ابن عجيبة(2000)، *الفتوحات الإلهية*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

18-ابن عربي(د.ت)، *رسالة اصطلاحات الصوفية*، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، (د.ط).

19-ابن عربي(2002)، *ديوان ابن عربي*، شرحه أحمد حسن سبح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

20-ابن عربي(د.ت)، *الفتوحات المكية*، دار صادر، بيروت، (د.ط).

21-الغراب، محمود محمود(1989)، *رحمة الرحمن في تفسير وإشارات القرآن من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي*، مطبعة نضر، دمشق، ط1.

22-الغزالي، أبو حامد(1982)، *إحياء علوم الدين*، دار المعرفة، بيروت.

23-ابن فارس(1399هـ)، *مقاييس اللغة*، دار الفكر، بيروت.
24-فؤاد، أبو خزام أنور(د.ت)، *معجم المصطلحات الصوفية*، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ط).
25-الفيروزآبادي(2005)، *القاموس المحيط*، مؤسسة الرسالة، بيروت.
26-القاشاني، عبد الرزاق(1992)، *معجم اصطلاحات الصوفية*: تحقيق عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط1.
27-القرطبي(1425هـ)، *التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة*، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، الرياض، ط1.
28-القشيري(1989)، *الرسالة القشيرية*، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، (د.ط).
29-مسلم(1955)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي وشركاؤه، القاهرة.
30-مفتاح، عبد الباقي(2012)، *الاسم الأعظم*، دار الكتب العلمية بيروت، ط1.
31-ابن منظور، (2004)، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت.
32-الهجويري(2007)، *كشف المحجوب*، تحقيق: إسعاد عبد الهادي قنديل، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

الرسائل العلمية:

33-بن عيسى، مازن بن محمد(2012)، *الإيمان باليوم الآخر، وأثره على الفرد والمجتمع*، رسالة ماجستير في العقيدة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، أم درمان، السودان.

المجلات والدوريات:

34-الحكيم، سعاد(2009): *"الحرية مقام إنساني وتركها أعلى"*، مجلة التسامح، سلطنة عمان، شتاء عام 2009.
35-سالم، عواد محمود عواد(د.ت): *"الحرية عند الصوفية دراسة تحليلية"*، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، العدد 40.
36-عبد القادر، ملك حسان محمود(2020): "صورة الموت في شعر محيي الدين بن عربي"، Journal of Academic Research in Religious Sciences 20/2 (September 2020): 1131-1165. https://doi.org/10.33415/daad.736305